يمين العليّ

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ

الفصل العاشر

مريم

كانت الأيّام تتوالى وتتعاقب الاسابيع ويهوديت لا تعرف لابيها خبرًا. فانّها مدّة زمن طويل كانت تعلّل نفسها بالاماني وترجو رغمًا عمّا يشغل قلبها من الهواجس بان والدها لا يدعها في عزلتها كئيبةً اسيفةً ويعود بعد قليل الى دارهِ فينعش بحضورهِ قواها او بالحريّ يفتح قبرها ويحيي رمسها

الّا انّها لمّا رأت كرور الأيّام وتتابع السَّبَات دون ان تتحقّق آمالها اظلمت الدنيا في اعينها وانصرم حبل رجائها واحسّت بان الحرب الاورشليميّة ألحقت بابيها الويلات فلا يبعد ان تكون اضحت يتيمةً لا سند لها في العالم ولا ملجأ. فكنت تراها تقضي في غرفتها الساعات الطويلة واجمةً صامتة لا تدري ما تقول او ما تفعل. وكان خدمها يخشون ان يزيدوا حزنها اذا فاوضوها في امرها او حاولوا ان يُعَزُّوها في بلبالها. وما كانت لتجد حتّى في نومها راحةً اذ تتوارد عليها الخيالات المزعجة التي تطير النوم من اجفانها

ومن ثمّ لو كان احد اصحاب يهوديت رآها بعد غيبةٍ وقابل بين حالها اليوم وبهائها قبل شهرين لَما عرفها. فكانت عيونها غائرةً ووجهها مصفرًّا ولونها ساهمًا وشفاهها ذابلةً كانّها الزهرة النضرة اصابها السموم فأذواها بريحهِ اللافحة. فليت شعري تُرى ماذا يحلُّ بها لو بقيت مدّةً على هذه الحالة ألا تصبح فريسةً للمنون او تذوق من اوجاع النكبات ما هو امرُّ من الموت

على انّ هذه البلايا التي كانت تنهك قوى يهوديت وكادت تتهدّدها بالموت العاجل راضت نفسَها ومرّنتها على احتمال الشدائد وسبكتها كما يُسبك الذهب في النار. فانّها كانت في الامس مطبوعةً على حبّ ملذّات العالم وبذخ العيش تقضي أيّامها في الزينة ولبس الحليّ تأنس بمديح الناس وتمليقهم لا تُطيق اعتراضًا على اعمالها وبجملة

القول ترى نفسها كدُمية يقتضى على الجميع تكريمُها بل السجود لبهائها . امَّا اليوم اذ ضعضعت الرزايا قواها وشحذ آراءها مِسَنُّ التجارب فانَّهـا كانت اصبحت رزينةً فطنةً متواضعةً ليّنة العريكة ترضى بالقليل . وغا حبُّها لابيها الذي عرفت آنئذٍ فضلَهُ عليها وكانت تودُّ لو امكنها ان تفدي حياتهُ بدمها

وهكذا مرَّ على يهوديت في الاحزان والاوجاع شهران كاملان اعني شهري اذار ونيسان . وكان دخل عليها ايَّار وابهج الكون بمواهبهِ الغرَّاء التي تكسو الطبيعة بهجةً وجمالًا . وكانت حديقة بيت صمونيل كلُّهـا زاهيةً بالورود واصناف الزهور تعطّر الجوّ باريجها . وكانت الاشجار تميس باغصانها ويتلاعب النسيم بافنانها وفي اوراقها تغرّد الطيور وتصدح بانغامها فيسبّح المستظلّ بفيئها خالق البريَّة اذ يلقى من الراحة والبهجـة ما يُنسيهِ كرب الاوجاع ووقر الاتعاب

على انَّ هذه المشاهد الفتَّانة لم تكن لتخفّف احزان يهوديت بل كانت تزيدها غمًّا لما بين اشجانها وسرور الطبيعة من البون

وكانت الاخبار تتوالى يوماً بعد آخر من اورشليم وكلُّها تنفذ في قلبها كسهام بحيث امكنها ان تقول مع الشاعر

رماني الدهرُ بالارزاء حتى فؤادي في غشاء من نبالِ
فصرتُ اذا اصابتني سهامٌ تكسَّرتِ النصالُ على النصالِ

فكان البريد يخبر حيناً بهجوم الرومان على الاسوار ودخولهم في حيّ بزيتا وحيناً ينبئهم بحريق « اكرا » وقتل اهلها . وتارةً يبلغهم ما يثور بين احزاب اليهود من الضغائن والملاحم الدمويَّة بازاء اعدائهم ويوماً كان يفيدهم انَّ المجاعة بلغت في اهل اورشليم مبلغها الى غير ذلك من الاخبار المفجعة التي تتفتَّت لها الاكباد ويتصدَّع لها الجلمود

فثبت لدى يهوديت ان كل امل في نجاة المدينة قد خاب وانَّها لا تعود ترى اباها وعلَّة حياتها . لانَّها كل ما كانت تفكر في صمونيل كانت تجد اباها في أحد طرفي نقيض امَّا انَّـهُ مات في الحرب او انهُ لا يزال في المدينة . فان مات كانت يتيمةً لم يبقَ لها على الارض من يُعنى بها ويرثي لحالها . وان كان حيًّا في المدينـة فلا ريب انهُ يقاسي الاهوال ويكابد من الآلام ما لا يعلمهُ الَّا الله . والمدينـة قد وقعت الآن في حيص

بيص تتنازعها دواعي الخراب والمجاعة والسيف والنـــار فكيف ينجو منها تاجٍ ما لم يخلّصهُ الله بآية باهرة

فكانت يهوديت تتقلّب على جمر القتاد تتعقّبها افكارها المقلقة ليلًا مع نهار. وكثيرًا ما كانت ترى والدها اذا ضغط عليها النوم فاثقل جفونها يحضر امامها بحالةٍ يُرثى لها فتراهُ شاحب اللون مضرّجًا بالدماء بحيث لا تكاد تعرفهُ لولا حبُّها البنوي. وكان يخال لها انَّهُ يناديها عن بعد باسمهـــا ويمدُّ اليها ذراعيهِ مستغيثًا... امَّا هي فكانت تسعى بان تعدو اليهِ وتضمّد جروحهُ لكنَّها كانت تحس باعضائهـــا تتخدَّر فلا تستطيع حراكًا... فتصرخ طالبةً المعونة من الحضور وبصراخها كانت تنتبه مذعورةً والعرَق البارد يسيل من جسمها فيتوارى عن عيانها هذا الشبح الهائل

ولم يكُ نهارها ابهج من ليلها فان دارها كانت اصبحت لها كسجن لا تذوق فيهِ راحةً. وقد سبق انَّ حاشيتها كانوا يأنفون من مقاربتها لئلَّا يجددوا احزانهـــا. امَّا الاقارب والاصحاب فكانوا قد انسحبوا عنها البعض منهم لما اصابهم مثلها من النكبات بحلول الويلات على اورشليم مدينتهم المقدَّسة والبعض لأنهم لم يعودوا يجدون في بيت الورود من الاجتماعات السارَّة والمآدب الفاخرة والليلات الراقصة

وكان اوَّل من تباعد عن يهوديت كبيرُ ارباب اليهود وابنهُ يعقوب الذي كان يطلب الاقتران بابنة صموئيل. الَّا انهُ كان بلغهما انَّ يهوديت لا يصيبها من وراثة ابيها الَّا حصَّة صغيرة فاخمد ذلك لظى حبّ يعقوب وابنهِ فلم يعودا يسألان عنها. وكذا ابتعد عنها غيرهما من الاصدقاء والاحباب

الَّا انهُ كان بقي لها رجاء في اخيها يوسف فكانت تظن انهُ اذا عرف ما دهمها من مضض الاوجاع يحنُّ لها ويعود الى بيتهِ ويعيش مع اختـــهِ بالسكينة والسلام. وبناء عليـــهِ اخذت تستخبر عن مكانهِ فعلمت انهُ كان يتنقَّل في جهات البقاع من مكان الى آخر ويقضي ايَّامهُ بالبسط والكيف مع بعض الشبَّان فكتبت اليـــهِ كتابًا مملوءًا لطفًا وحنوًا قالت لهُ في اثنائهِ انَّها قد نسيت كلَّ ما جرى بينهُ وبينها سابقًا وان كانت آذَتهُ بشيء فانها تطلب اليهِ ان يغفر لها ويعود الى دار والده فيعيش كلاهما بالمحبَّة والهناء الَّا انَّ يوسف كان رجلًا يعميهِ الصَّلَف ويستفزُّهُ العُجب والخيلاء يحبُّ نفسهُ ولا يرى في اختهِ غير آلةٍ يفخر بها ويتباهي بمحاسنها ولكن يريدها طوع ارادتهِ

وعبدةً لمطامعهِ . ومن ثمَّ آثر العيشة بعيدًا عنها ليركب راسهُ في اهوائهِ ويجمح في جهالاتهِ

ولمَّا بلغهُ كتاب اختهِ مزَّقهُ ولم يجب عليهِ حرفًا الَّا انهُ كتب بطاقةً وَجَّهها الى سلوانس قيم دار الورود كان يقول لهُ فيها انَّهُ سيرسل عمَّا قليل وكيلًا ينوب عنهُ في امر وراثة ابيهِ اذا ما تحقَّق موتهُ . وكان يعرض عليهِ بان يجمع كل الحجج والصكوك المتعلقة بذلك فينهي الامر باقرب وقت

وقد مرَّ ان سلوانس كان عبدًا امينًا يحبُّ سيِّدتهُ يهوديت ويتفانى في خدمة مصالحها : فأنف ان يخبرها بامر الكتاب الذي ورد عليهِ من اخيها يوسف لئلَّا يمضَّ كتابهُ قلبها اذا علمت بسوء صنيع اخيها وشراسة طباعهِ

الَّا انَّ الامر لم يبقَ مكتومًا زمنًا طويلًا . فبعد هذه الرسالة بأيَّام قليلة طرق على باب دار الورود عبدٌ طلب ان يواجه السيِّدة يهوديت قائلًا ان لديهِ كتابًا من اخيها

فلمَّا ادخلوهُ امامها استنكفت يهوديت من منظرهِ نافرةً اذ رأتهُ لابسًا ثوبًا وسخًا وهو قبيح المنظر احوص العينين طويل الاذنين احدب تضطرب كل اعصابهِ كلَّما فتح فاه . فتعجبت يهوديت من اخيها كيف اوفد اليها كتابًا مع رجلٍ بهذه الصفة كانهُ يريد ان يزعجها بمنظرهِ . وزاد قلقها لمَّا شعرت بخبث الوافد ومكرهِ بعد ان وقف امامها برهةً وتلمَّحتهُ . فسألتهُ يهوديت قائلةً :

ما اسمك ؟

فانحنى العبد الى الارض تملُّقًا وقال : اسمي اروس احد عبيد اخي سموِّكِ

— وهل تأتيني برسالة ؟

— كلَّا ايَّتها السيِّدة الشريفة وانَّما ارسلني السيِّد يوسف لاهتمَّ بمصالحهِ

— ولم يُوصِك بشيء لي ؟

— كلَّا يا سيِّدتي المعظَّمة

قال هذا بصوتٍ مملوءٍ كيدًا وهو يعلم انَّ كلامهُ يرشق قلب الفتاة ويسقيها كأسًا امرَّ من العلقم

— فان لم يوصكَ اخي بشيء فلا حاجة ان تعود فتحضر امامي . وهاك سلوانس يفيدُك ما تريد ان تعلم

فخرج عبد السوء بعد ان كرَّر امام يهوديت سلامهُ بتقبيل الارض . امَّا ابنة صموئيل

فتأكّدت ان بينها وبين اخيها هوّةً عميقةً لا تُملأ الى الابد وانّ قلب يوسف اقسى من الصخر الاصمّ . وعليهِ فقد ضاع املها الاخير ولم يبقَ لها غير الله سند المتروكين وعضد الملهوفين

والحقُّ يقال انّ يهوديت التي كانت وطّنت نفسها منذ بضع اسابيع على كلّ المرائر والاوجاع احتملت هذه الاهانة من اخيها بصبر عجيب . فرفعت بنظرها الى الله وطلبت منهُ الّا يهملها بينما الجميع يحزنونها ويبتعدون عنها

وممّا كان يزيدها قوّةً وثقة بهِ عزّ وجلّ انّها كانت تطالع الاسفار المقدّسة فتجد فيها لنفسها قوتًا وساوانًا . وجعلت كلّ يوم صباح مساء تتردّد وحدها لابسةً لبس الحداد الى الكنيس المشيَّد في وسط حي اليهود على مسافة ربع ميل من دارها . وكان القوم اذا رأوها مارّةً في شوارعهم كفُّوا عن ضجيجهم ونظروا بهيبة ووقار الى ابنة الاشراف التي كسفت انوارها ظلمة الحزن . وكان يعرفها الفقراء لكثرة صدقاتها . وكانت اختصّت منهم بالرحمة رجلًا كسيحًا كان يستعطي على باب الكنيس فلا تمرُّ بقربهِ دون ان تُحسن عليهِ بصدقةٍ وافرة قائلةً : « صلِ من اجل والدي » فيجيبها الشيخ شاكرًا : « جازاكِ الله خيرًا فانَّ اجر عملة الخير لا يضيع لديهِ » فكانت الفتاة تتعزّى بهذه الكلمة وتضاعف اليهِ حسناتها

كلّا لا يضيع اجر عملة الخير ! وقد شعرت يهوديت بصدق هذا القول بعد ايّام قليلة . فانّها دخلت يومًا على جري عادتها كنيس قومها وكان الكنيس خلوًا ليس فيهِ احد فبعد ان صلّت الى الله طويلًا قامت الى مِقرأة هناك عليها التوراة واسفار الانبياء . ففتحت الكتاب واذا عينها وقعت على فصل اشعيا (٧ : ١٤) حيث سبق وتنبّأ النبيّ « بان عذراء تحبل وتلد ابنًا يُدعى عمّانويل » فأثّرت فيها هذه الآية تأثيرًا عظيمًا لم تعهدهُ سابقًا لمّا كانت تقرأ هذا الفصل او تسمع تفسيرهُ من علماء قومها فتحرّكت حينئذٍ كل شواعرها واحسّت بعامل الهيّ يستولي على قلبها ويجتذب كل عواطفها الّا وهو ذاك المسيح المنتظر رجاء الامم الذي يبني عليهِ قومُها قصارى الآمال لينقذهم من اعدائهم . فظهر لها في تلك الساعة بعزّهِ وجلالهِ كانسان والهٍ معًا فبُهر نظرها لهذا المشهد السامي وقامت من ثمّ وهي معتقدةٌ بان هذا المسيح قد حان وقتهُ وانهُ قد

تزل على الارض كما تنبأ الانبياء وانَّ قومها لم يعرفوهُ او بالحري تعاموا وتسكَّعوا في ضلالهم لئلَّا يتبعوا تعاليمهُ

فخرجت يهوديت من الكنيس وعادت الى دار الورود وهي تردّد في فكرها آية الكتاب وتقابلها بآيات أخرى من الانبياء تجلي معانيَها وتزيدها ايضاحاً. وكان يخطر على بالها كل ما سمعتهُ او رأتهُ بالعيان من امر المسيحيين وتذكَّرت ما قصَّتهُ عليها لانيش ظئرها في جُبَيل عن المسيح واخبارهِ العجيبة كميلادهِ الغريب في مذود حيث سجد لهُ رُعاةٌ وملوك وكهيشتهِ الساذجة في الناصرة كاحد العملة ليعلّم البشر التواضع والقناعة وكبشارتهِ للانجيل مدَّة ثلاث سنوات وهو يعمل الخوارق من احياء الموتى وشفاء العميان وتطهير البرص الى ان مات على خشبةٍ محكوماً عليهِ بالموت الّا انَّ موتهُ كان مبدأ لعظمتهِ ومجدهِ اذ قام من قبرهِ حيًّا ظافرًا واثبت قيامته بالمعجزات المتعدّدة حتى ارتفع آخرًا الى اعالي السماء بقوَّتهِ وجذب اليهِ العالم باجمعهِ شاء ام ابى

وكلُّ هذه الافكار كانت تتزج في قلب يهوديت امتزاج الماء بالراح حتى ثبت لديها انَّ عمانويل الذي ذكرهُ اشعيا هو هو يسوع الناصريّ الذي تراءى على الارض وحقَّق في شخصهِ كل نبوَّات الانبياء من موسى كليم الله الى ملاخيا آخر انبياء اسرائيل. وانَّ العذراء امهُ انَّما هي تلك التي عملت في قلبها صورتها المملوَّة حنانًا وعذوبةً يوم رأتها في مصلَّى النصارى في جُبَيل

وكلما كانت هذه الافكار تخالج ذهن يهوديت كانت تزيد ايضاً في قلبها عواطف الحبّ ليسوع الناصري. وهي التي كانت سابقًا تأنف من إلهٍ يكابد الموت والآلام المرَّة لم تعُد تجد في صليب المسيح الّا تعزيةً وسروراً. وذلك ان الاوجاع كانت خامرت نفسها وطأمنت زَهوها وعتوَّها فصارت تُدرك محبَّة المصلوب للبشر بل ظهر لها المسيح في آلامهِ وعذاباتهِ الطف واحبَّ منهُ في مجدهِ ورفعتهِ اذ تنازل كطبيب نطاسي أن يقبل عليهِ علَّاتنا ليشفيها ويعلّمنا ان نقدّسها بالصبر والاتكال على الرحمان

فلمَّا دخلت غُرفتها دعت أمتها قائلةً: « هيَّا يا دوروتيا ائتيني بقصَّة مسيحكِ الذي تعبدينهُ . . . فانّي اريد انا ايضاً ان احبَّهُ واسجد لهُ »

— أهذا حقٌّ او منام يا سيّدتي ؟

فاهت دوروتيا بهاتين الكلمتين واهتزَّ كلُّ شخصها لهذا الكلام طربًا واغرورقت عيناها بدموع الفرح والسعادة فضاء وجهها بضياء فائق العادة جمَّل صورتها الخشية الخشنة

(ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Exegesis Psalmorum apud Syros Nestorianos
auctore B. Vandenhoff, *Reine*, 1899, pp. 60+70

ܬܦܣܝܪ ܡܙܡܘܪ ܠܡܪ ܐܚܘܒ ܩܛܪܝ

تفسير المزامير لمار احوب القطري

من جملة كتبة النساطرة الذين ذكرهم عبد يشوع الصوباوي في قائمة التآليف السريانيَّة احوب (ويروى أيوب) القطري من مؤلفي القرن العاشر للميلاد. وقد اشتهر بتفسير الاسفار الالهيَّة بالكلدانيَّة الَّا انَّ كتبهُ كانت مفقودة حتى وجد منها المنسنيور صموئيل جميل نائب بطرك الكلدان سابقًا في رومية قسمًا يحتوي تفسير المزامير وجدهُ في مكتبة دير السيِّدة في ألقوش. وهو عبارة عن ١٨٠ صفحة تولَّى نشر معظمها لاسيَّما شرح المزامير المختصَّة بالمسيح في منستر من اعمال المانية الاستاذ برنهرد ثادن هوف وصدَّرها بمقدَّمة لاتينيَّة لتعريف الكتاب وخواصهِ ثم الحق هذه الفاتحة بترجمة الشروح مع تذييلها بحواشٍ في هامش الكتاب. ومن جملة المزامير التي ورد شرحها المزمور الذي يُنسب الى داود عند قتلهِ جلياد رويناهُ بالسريانيَّة والعربيَّة في المشرق (٣: ٢٥٤). وهذا الكتاب مفيد لدرس الاسفار المقدَّسة ولتعريف طريقة الكلدان في تفسيرها

O PRIMEIRO PASSO NA LINGUA PORTUGUEZA
por Chucri Khury, *São Paolo*, 1903, p. 104

كتاب الخطوة الاوَّلية في اللغة البرتغالية لجامعهِ شكري الخوري

يحتوي هذا الكتاب ١٣٣ درسًا ضمَّنها صاحبها خلاصة اللغة البرتغاليَّة ليتمكَّن ابناء العرب ان يتعلَّموا بوقت قصير ما يحتاجون اليهِ من الألفاظ والتعابير في البرازيل